



الخميس 24 مارس 2022 09:39 م
وائل فنديل

في الذكرى الأولى لتعويم السفينة الشاحطة في قناة السويس، يشحط الجنيه المصري هذه المرّة، ويغوص في الأعماق، معلناً انفجار فقاعة الأوهام التي أمضى الجنرال عبد الفتاح السيسي تسع سنوات، في تعبئتها وتلوينها، وإطلاقها في الهواء.

هي فقاعة من الأكاذيب الواعدة بوطنٍ لا يمتد إلى الواقع بصلة، ولا ينتمي إلى مواطنيه على أي نحو من الأنحاء، على الرغم من أن هؤلاء المواطنين المسحوقين يعصّون على الانتماء الحقيقي، والإخلاص الصادق له بالنواجز، ويحفظون وده وترابه المقدّس، في الوقت الذي يتنكّر هو لهم.

تسع سنوات من الهراء المزركش بمهارة فائقة، تنبعث منه أضواء خادعة، تُبهر العيون، لكنها لا تمسّ القلوب، مثلها مثل الأضواء الصناعية التي تكتسي بها أبراج دبي وأبو ظبي، في المناسبات الصهيونية.

تسع سنوات من العضلات المنفوخة، بالهواء الصناعي، والاستعراض النافه لقوة، أو بالأحرى أوهام قوة مستعارة، تنتهي بركاكة في الأداء، لبطل الملهاة وهو يقول للمخدوعين: "إحنا ظروفنا صعبة أوي .. خلوا الناس الطيبة تدعي ربنا يفرجها علينا".

يستجدي الجنرال المتعطر عطف ضحاياه الذين خدعهم بشعارات الوطن الكبير "قد الدنيا" عبر مداخله تلفزيونية، فيقول "أتمنى إن إحنا كلنا كمصريين ومسؤولين نبقي عارفين إن اللي هيخف عن حد ربنا هيخفف عنه وهييجي علينا يوم ونقف قدام ربنا ويمكن كلمة وشفاة من أخت زي جيهان أو محروسة أو أي حد ثاني تكون دي شفاة طيبة، ويقولوا لما شافنا حاول يحل ويساعد".

وبعد التوقيع على قرار ذبح العملة الوطنية، وما سبقه، وما ترتّب عليه من انفجار في الأسعار، ورهن مساحات إضافية من خريطة الوطن الاقتصادية والسياسية للمترصبين به يكمل "خلوا الناس الطيبة تدعي إن ربنا يفرجها علينا، ولما يفرج علينا هنفرج على الناس كلها مش هنسب حد، إحنا ما وراناش غير كده".

منتهى الاحتقار لمفهوم الوطن، والإهانة للمواطن، تصويرهما طوال الوقت في حالة احتياج وتسوّل، وكأنه وطن عاجز لمجموعة من أصحاب العاهات، يقودهم "معلم" يتسوّل باسمهم .. مصر أكبر من هذا بكثير، والمصريون أنبل من هذه اللغة التي لا تستخدم إلا في عالم التسوّل الاحترافي.

هل هذا كل ما لدى السيسي في مواجهة كارثة هو صانعها الأول بمنتهى الدقة والإتقان في التنفيذ؟ بالطبع لا، فهناك ما هو أهم ولازم .. هناك الظهور الحتمي لأصحاب الشأن الحقيقيين، هناك صانعو هذا الخراب وزارعوه، الذين حضروا للاحتفال بالحصاد الكارثي في شرم الشيخ، رئيس حكومة الاحتلال الصهيوني، الذي بيّنت ليلته الأولى في فراش مصر، نفتالي بينيت، وولي عهد أبو ظبي، محمد بن زايد، ممثلي الطرفين اللذين وضعوا البذرة في الثلاثين من يونيو/ حزيران 2013 وتعهدها بالرعاية والرّي، ووصلا إلى قطف الثمار في 2022.

يكمل بن زايد هيمنته على اقتصاد مصر وسياستها، بالإعلان عن الاستحواذ على البنك التجاري الدولي، وشركة "فوري"، والصهيوني يواصل السيطرة على النظام الحاكم في مصر، بعد عامين فقط من نجاحه في الاستحواذ

على سوق الغاز، بصفقة حصل بموجبها على 19 مليار دولار من مصر، مقابل مد خطوط الغاز الذي يصدره الاحتلال، عبر الأراضي المصرية، بعد إسالته وإعادة بيعه إلى أوروبا والعالم .. هذه العملية تعنى، تقريبًا، أن مصر صارت على يد السيسي مجرّد واحد من منافذ بيع الغاز الصهيوني للعالم.

هل جاء الراعيان للاستثمار والحصاد فقط؟ على الرغم من أن المعلن عن لقاء شرم الشيخ أنه يركّز على إيران والاتفاق النووي، إلا أن الأقرب إلى الصحة أن الراعيين جاء استجابة لنداء استغاثة صادر من رجلها في مصر، القبطان الأعمى الذي أوشك على الشحوط بسفينة ترسل أنوارها المبهرة من الخارج، لكنها متهالكة، وينخر فيها السوس والصدأ من الداخل، غير أن ذلك لا يقطع بأنهما راعيان أو قادران على انتشاره من الغرق.

يُنبتنا التاريخ أن الأوغاد السفاحين حين يشعرون بأنه رجالهم، المصنوعين على أيديهم وأعينهم، لم يعد لديهم ما يقدّمونه، فإنهم يحيلونهم إلى الاستبداد والتكهن، فيتخلصون منهم، أو يتركونهم للغرق .. وافرأوا التاريخ، وكيف تُرك أنور السادات لحتفه، بعد أن أدّى كل المطلوب منه، ولم يعد ثمة جديد يقدّمه للصهيوني.

استحضر الآن مشاهد الجنرال في أزياء خديوية مستعارة، وهو يعتلي سطح الباخرة "المحروسة" في حفل تسويق أول الأوهام وأكبرها في العام 2014: الإعلان عن قناة سويس جديدة، تغيظ الحاسدين وتفجر ينابيع الدولار والعملات الصعبة، فتكون أنهارًا تغرق الوطن والمواطن بخيراتها .. سجلا وقتها أن "ما تشبه الدولة" تغرق "ما يشبه الوطن" بما يشبه الوهم، لكي يسهل عليها اختطاف "ما يشبه الشعب"، بعيداً عن التفكير في التغيير السياسي مرة أخرى.

الآن، تتبخّر الأوهام وتنفضح سحب الأكاذيب، مخلقة وراءها حقيقة واحدة، أن هذا الرجل بنى وطنًا لا يناسب أبناءه ومحبيه الحقيقيين، ولا يحتويهم، وإنما يعجب الأعداء والكارهين، ويوفر فرصًا هائلة للسماسة والانتهازيين، فيحدّدون قواعد المواطنة، وشروط الانتماء، فيكون كل من يرفض كل هذا التخريب والتجريف بالعمالة والخيانة، إلى آخر هذه النوعية من معلبات الوطنية الجديدة، في الجمهورية الجديدة التي لا تحمل من ملامح الوطن وروحه الحقيقية شيئًا.

المصدر: العربي الجديد